مِنْ أَمْجَادِ الْجَزَائِرِ

(1962 - 1830)

سِلْسِلَة تَارِيخِيَّة ثَقَافِيَّة تَصْدُرُ عَنْ وَزَارَة الْمُجَاهِدِينَ

الشَّهِيد

الجِيلاَلِي بُونْعَامَة "يِي امْحَمَّد"

1961 - 1926

منشورات المتحف الوطني للمجاهد

الشهيد

الجيلالي بونعامة "سي امحمد"

1926 - 1961

تصدير

تصدر هذه السلسلة التاريخية المخصصة للشهداء الرموز الذين يزخر بهم تاريخ المقاومة والثورة التحريرية، لتنير أمام الأجيال ولاسيما الشباب معالم درب النضال والجهاد الذي شقه ملايين الشهداء الأبرار بدمائهم الزكية، وعبدوه بأجسادهم الطاهرة ليكون معبرا للجزائر ولشعبها إلى الحرية والاستقلال.

تعد هذه السلسلة مساهمة من وزارة المجاهدين في بناء الذاكرة الجماعية وإثرائها، تعزيزا للجهود التي ما فتئت الدولة الجزائرية تبذلها من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية، ودعم تواصل الأجيال وتلاحمها.

أرجو أن يجد الشباب الجزائري في هذه السلسلة ما يروي عطشه لمعرفة تاريخ بلاده وتضحيات شعبه خلال المقاومة والثورة التحريرية التي تعتبر مرحلة هامة في تاريخه المجيد.

محمد الشريف عباس

وزير المجاهدين

حقوق التأليف والنشر محفوظة للمتحف الوطني للمجاهد 2010

ر . د . م . ك : 978-9961-884-81-2
الإيداع القانوني : 2010-4132

المتحف الوطني للمجاهد

ص .ب 168 – المدنية – الجزائر
الهاتف : 00.213.021 . 66. 92. 08 – 65 . 45. 06
الفاكس : 00.213.021 . 66 . 91 . 54

البريد الإلكتروني : Email: mnm@museenat-moudjahid.dz

BP 168 EL - MADANIA - ALGER
TÉL : 00.213.021.66. 92.08-65.45.06
FAX:00.213.021.66.91.54

فِي صَبِيحَةِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ شَهْرِ أُوت جَلَسَ عَمِّي «سليمان» في شُرْفَةِ بَيْتِهِ الْمُتَوَاضِعِ، يَتْلُو مَا تَيَسَّرَ مِنَ كِتَابِ الله – كَعَادَتِهِ – بَعْدَ أَنْ عَاد مِن المَسْجِدِ عَقِبَ صَلاَةِ الصُّبْحِ.

جَلَسَ أَحْمَد قُرْبَ جَدِّهِ يُصْغِي لِتِلاَوَتِهِ، وَيَسْأَلُهُ مِنْ حِينٍ لآخَرَ عَنْ مَعانِي بَعْضِ الآيَاتِ، ثُمَّ مَا لَبِث أَنِ اسْتَأْذَنَه قَائِلاً: جَدِّي، إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى السُّوقِ لاقْتِنَاءِ مَا أَوْصَتْنِي بِهِ أُمِّي قَبْلَ الذّهابِ إلى الْمَدْرَسَةِ، فَهَلْ تُرِيدُ أَنْ أُحْضِرَ لَكَ شَيْئا ؟

الجَدّ: لاَ تَنْسَ جَرِيدَتِي الْمُعْتَادَة.

وَاصَلَ الشَّيْخُ التِّلاَوَةَ، وَتَوَجَّهَ أَحْمَد إِلَى السُّوقِ،

وَبَعْدَ حَوَالي سَاعَةٍ عَادَ إِلَى المَنْزِل، وَهَرْوَلَ نَحْوَ جَدِّهِ لِيَسْأَلَه عنِ الْمُناسبَة الّتي تَحْتَفِلُ بها الجزائرُ في ذلك اليوم.

أَحْمَد: إِنَّ البُلَيدَةَ أَصْبَحَتْ هذَا اليَوْمَ تُزَيِّنُهَا الأَعْلاَمُ الوَطَنِيّة.

تبَسّمَ الجَدُّ وقالَ: في الثّامنِ ماي مِنْ كلِّ سَنَةٍ تُحْيِي مدينةُ البُلَيْدةِ ذِكْرَى اسْتِشْهادِ «سي امحمد بونعامة» الذي استُشْهِدَ في حيّ من أحيائِها الْعتيقَة.

أحمد: طَلَبْتُ مِنْكَ عِـدَّةَ مَـرَّاتٍ أَنْ تَرْوِي لِي بَعْضَ قِصَصِ الشُّهَدَاءِ، فَلَمْ تَفْعَلْ يَا جَدّي؛ فهل تَـفْعَلُ اليومَ؟

الجَدّ: سَأَفْعَلُ – إِن شاءَ الله – هذا الْمَساءَ بَعْدَ صَلاةِ العِشاءِ.

بَعْدَ صَلاةِ العِشاءِ انْتَظَر أحمدُ جَدّهُ؛ فلمَّا عَادَ مِنَ المَسْجد، وَتنَاولَ عَشَاءَهُ، جَلسَ أَحْمَدُ إِلَى جَانبِه.

الجدّ: الاسمُ الحقيقي لـ «سي امحمد» هو الجِيلاَلِي، وهو من مَوَاليد 16 أفريل 1926 بِقَرْيَةِ «مُولْيَار» التي أَصْبَحَتْ بَعْدَ الاسْتِقْلاَل تَحْمِلُ اسْمَهُ «بُرْج بُونعَامَة»؛ قضَى مرحلةَ طفولتِه وشَطْرًا من مرحلَةِ شبابه بمسقَطِ رأْسِه.

كَانَ قَليلَ الكَلاَم، دقيقَ المُلاَحَظَة، وذَا همَّة عَالِيَة، وأَخْلاَقٍ فَاضِلَةٍ؛ رغْمَ أَنَّه لَمْ يَقْطَعْ شَوْطًا طَوِيلاً في التعلُّم، إلا أنّه كانَ واعيًا بالْمُمَارساتِ الاسْتِعماريّةِ الظّالمَةِ فِي حقِّ الجزائرِيين.

أحمد: ماذا فعل بعْدَ انقِطاعِه عنِ الْمَدْرَسة؟

الجد: بحثَ عنْ عَمَلٍ فقادَهُ البحْثُ إلى «منجم بوقايد» القَرِيبِ مِنْ مسْقَطِ رَأْسِه، وأَثْناءَ عَملِه في

هَذَا المَنْجَم انخرطَ فِي صُفوفِ حزْبِ الشّعْب، ثُمَّ في حَرَكَةِ الانْتَصَارِ للحُـرِيّاتِ الدِّيمُقْرَاطِيّـةِ الّتي ظَهَـرتْ عامَ 1946.

ناضَلَ فِي خَلِيةٍ منْ خَلايَا الحركة، كَانَ مُعْظَمُ عَنَاصرِهَا منْ عُمَّالِ المَنْجَم؛ ولّما أَنْشأَتِ الحركةُ «الْمُنَظَّمَةَ الْخَاصَّة» في عام 1947، الّتي تَوَلّتِ الإعْدادَ لِمرحلَةِ الكفاحِ المُسلّحِ، عُيّنَ «سي امحمد» عضْوًا فيها.

ولّما دعتِ النَّقَابَةُ الفَرَنْسِيّةُ العَامَّة للعمال (C.G.T) إلى إضْراب سَنَة 1951 شاركَ فيه مشاركةً فعّالةً بصفَتِه مُمَثِّلاً لِلْعُمَّالِ الجَزَائِريينَ. دَامَ الإضْرَابُ خَمْسَةَ أَشْهُرٍ كَامِلَةً تَعَرَّضَ خِلالَها العُمَّالُ الجَزَائِرِيّونَ لِضُغُوطٍ مِنَ الدَّرَكِ الفَرَنْسِي بِاسْتِعمَالِ الضَّرْبِ تارَةً، والتَّهْدِيدِ بِالحَبْسِ تارَةً أخرى. إلا أنّ

وقوفَ «سي امحمد» إلى جانبِهم شجّعَهم على مُواصلَةِ الإضْرابِ حتى استجابَتْ إدارةُ المَنْجَم إلَى مَطالبِ الْعُمّال. وبَعْد انْدِلاَعِ الثّوْرَة زُجَّ بِهِ فِي سِجْن وَهْرَان، ثُمَّ بَعْدَ إطْلاقِ سَرَاحِه، وُضِع تَحْتَ الإِقَامَةِ الجَبْرِيّةِ بِنَفْسِ المدينة.

أحمد: متَى الْتَحَقَ بالثّورة؟

الجد: الْتَحَقَ بهَا خلالَ شَهرِ مارس سنة 1955 بِنَواحِي الأصْنام، (الشّلف حاليا)، وفي وقْتٍ قَصيرٍ حصلَ عَلى ثِقَةِ مْسؤولِيهِ نتيجَةَ دورِهِ الكبيرِ الّذي قامَ بِه في شنِّ عمليّاتٍ عسْكَريّةٍ ضدّ العدُوِّ بالنّواحِي الْوَاقِعةِ غَرْبَ الجزائرِ العاصمةِ في صَيْفِ السّنةِ التّي الْتَحَقَ فيها بالثّورة.

وبعْدَ مُؤْتَمَرِ الصّومام (صيف 1956) عُيّنَ في رُتْبةِ «ضابِط أوّل» مسؤولاً عسْكَرِيّا بالمِنْطَقَة الثّالثَة

التي كان على رأسِها جَمالُ البَغْدادي؛ فتَعاوَنَ مَعَهُ علَى تَنْظِيمِ المنْطقَة حَسَبَ التّنْظيمِ الجديدِ الذي خرَجَ بهِ الحاضِرونَ في المُؤْتَمَرِ.

ولّما اسْتُشْهِد قائدُ المنْطقَةِ «جَمال البغدادي» في عام 1957 خلفهُ «سي امحمد»، وكوّنَ كُومَنْدُو (نُخْبَةٌ مُمْتازَةٌ مِنْ أَفْرادِ الجيشِ) أُطْلِقَ عليْه اسْمُ «كُومَنْدُو جَمال» نِسْبَةً إلَى قائدِ المنْطَقةِ الذي اسْتُشْهِدَ. قامَ الكُومَنْدُو بعدَّةِ عَمَلِيّاتٍ داخلَ الولايةِ الرّابعةِ وخارِجَها.

أحمد: اُذْكُر لِي بَعْضَ المَعَارِكِ الَّتِي خَاضَهَا الشَّهِيد.

الجدّ: لَقَد خَطَّطَ «سي امحمد» لِعدَّةِ عَمَلِيّاتٍ عسكريّةٍ كَبِيرَةٍ، نُفِّذَتْ تَحْتَ قِيَادَتِه؛ مِنْهَا القَضَاءُ عَلَى وَحْدَة عَسكريّةٍ مُكَوّنَةٍ مِنْ عدَّةِ آلِيَاتٍ قُرْبَ

«نَارْبُو»، غنِم الْمجاهـدون أَسْلحَتَهَا وَمُعَـدَّاتِهَا. وَمنها كَمِينٌ نُصِبَ لِكَتِيبَةٍ فَرَنْسِيّةٍ كانتْ تَتَحرَّكُ في الشّمَال الشّرْقي لثَنِيَّةِ الأَحَد. وَمنها أَيْضًا عَمَلِيَّةٌ عَسكريّةٌ بلامَارْتِين «الكَرِيمِيّةِ» تَمَّ فيها أَسْرُ ثَلاَثِينَ جُنْدِيًّا فرَنْسِيًّا. وَتَحْتَ قِيَادَتِه المُبَاشِرة أَيْضًا نَصَبَ جَيْشُ التَحْرِيرِ الوطني كَمِينًا لِقَافِلةٍ كانتْ تَتَنَقَّلُ بَيْنَ «الأَصْنَام» ومَسْقَطِ رَأْسِه «بُرج بُونْعَامَة»، أُسْقِطَتْ فِي هذا الْكَمِينِ طَائِرتَانِ، وَغنِمَ جَيْشُ التَحْرِيرِ الوطنيُّ كَمِّيةً مُعْتَبَرَةً مِنَ الأَسْلِحَةِ والذّخيرَة.

بِالإِضافَةِ إِلَى كثرَةِ الْعمليّاتِ العسكريّةِ الّتي خاضَها ضِدَّ العـدوِّ، تَصَّدَى بُونْعَامَـة لِلْخَائِـنِ (بَلُّونِيس) الذي انْشَقَّ عَنِ الثَّوْرَة، وانْضَمَّ إِلَى الجَيْشِ الفَرَنْسِي، وَتَابَعَهُ وَعَمِلَ عَلَى القَضاءِ عَلَيْه وعلَى أَتْباعِه الّذين غُرِّرَ بِهم، فَأَظْهروا العداوَةَ

لجيشِ التّحريرِ الوطنيِّ، وحَاولُوا تَشْويهَ سُمْعَته بيْن أفرادِ الشّعبِ، وَأقْنَعَ الكَثيرَ منهُم بِالرُّجوعِ إلَى صَفِّ الثّورةِ بعدَ تَعاوُنِهم مَعه علَى القَضاءِ على «بلونيس». وأمّا بِالنّسبةِ لِلخائنِ الآخَرِ الذي ظَهَرَ فِي نَواحِي الأصْنامِ «البَاشْ آغَا بُوعلام»، وجَمع حولهُ شِرْذمَةً من الجزائريّين الّذين بَاعوا ضمائرَهم للعدوِّ فقد ضَيَّقَ الخِناقَ علَيهِ وعلى أتباعِه، فلَمْ يُفْلِحوا في مَسْعاهُم.

قبلَ أنْ يُكْمِلَ الجدُّ الحديثَ عنِ النَّشاطاتِ الْعسكريّةِ الّتي قامَ بِها الشّهيدُ «سي امحمد» شعَر بالتّعبِ، فطلبَ أن يُؤجّلَ ما بقي من الحكايةِ إلى اللّيلةِ المُواليةِ. شَكرَ أحمدُ جدَّه على تَلْبيةِ طَلبِه، وَوفَائِه بِوَعْدِه، وذهَب لينام.

في اللَّيلةِ المُواليةِ عَادَ الجدُّ منَ الْمَسْجدِ فوجدَ أحمدَ في انتِظارِه، فقال: لاَ شَكَّ أَنَّكَ تُرِيدُ سَماعَ ما

بقِيَ من حكايةِ الشَّهِيدِ «سي امحمد بونعامة».

أحمد: نعم.

الجد: في عام 1958 عُيِّن عُضْوًا فِي مَجْلِس الولايـةِ الرّابعـةِ بِرُتْبَة «رَائِد» مسؤولاً عسكريًّا، فَتَصَدّى لإفْشالِ الْمُخَطّطِ الاسْتِعماري المَعرُوفِ بـ «مُخطّطِ شالْ» الّذي جاءَ به الرّئيسُ الفَرنسي «ديغول» فِي تِلْك السّنةِ مِن أجْلِ القضاءِ على الثّورةِ؛ ركّزَ المخططُ على تكثيفِ عمليّاتِ التمْشيطِ بحْثًا عنِ المجاهدينَ في الجبال، وتدْعيم خطِّ «موريس» الشّائك المُكهربِ علَى الحدودِ الشّرقية والغربيّة بخطّ آخرَ سُمّيَ باسْم القائدِ الفرنسيّ الّذي وَضعَه «خط شال» منْ أَجْل منعِ دخولِ السّلاحِ إلى الجزائرِ؛ لَكنّ «سي امحمد» عرَفَ كَيْفَ يَتَصَدَّى لِذَلِكَ المُخَطَّطِ الاستِعْمَاريّ بِتَقْسِيمِ كَتَائِبِ جيشِ التّحريرِ إِلَى أَفْوَاجٍ صَغِيرَةٍ

لِيَسْهُلَ عَلَيْهَا التَّسَرُّب مِنْ شِبَاكِ العَدُوِّ، والتّحرُّكُ وَالإيــواءُ والإطعامُ. وفي نفسِ الوقــتِ واصــلَ المُجاهدون هجَماتِهم على مراكزِ العدوِّ لِبَثِّ الرُّعْبِ فِي أَوْسَاطِ المُعَمِّرِين.

ولَمّا اسْتُشْهِد قائدُ الولايةِ «سي امحمد بوقرة» في 5 ماي 1959 وَاصلَ «سي امحمد بونعامة» مَعَ «صالح زعموم» تَسْيِيرَ شُؤونِ الولايةِ.

وَبعدَ استشْهادِ «صالح زعموم» تولّى «سي امحمد» تسييرَ شؤونِ الولايةِ، فنَقَلَ مَقَرَّ القيادةِ إلى قَلْبِ مدينةِ البُلَيْدة؛ ليُخَطِّطَ مِنْها لِعمليّاتِه ضِدَّ العدوّ؛ وَرغْمَ اغْتيالِ والديْه، وتَوْقيفِ أَخيه، وتَهْديم مَنْزِلِ العائلةِ لَمْ يَثْنِه ذَلك عَنْ مُواصلَةِ مُقاوَمةِ العدوّ حتّى سَقطَ شهيدا فِي حيٍّ من أَحْياءِ مدينةِ البُليدة.

أحمد: صِفْ لِي ظروفَ اسْتِشهادِه.

الجد: كَانَتِ السَّاعَةُ تُشيرُ إِلَى التَّاسِعَةِ لَيْلاً عِنْدَمَا نَشِبَتْ مَعْرَكَةٌ بَيْنَ أَرْبَعَةِ رِجَالٍ مِنْ جَيْشِ التَّحْرِيرِ الوَطَنِي، يَتَقَدَّمُهُمْ «سِي امحمد»، وَفِرْقَةٌ مِنَ المِظَلِّيِّينَ. تَصَدَّى «سِي امْحَمَّدْ» وَرِفَاقُه بِشَجَاعَةٍ إِلَى المِظَلِّيِّين المُدَجَّجِينَ بِشَتَّى أَنْوَاعِ الأَسْلِحَةِ؛ وَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ المَعْرَكَةَ لَمْ تَكُنْ مُتَكَافِئَةً بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ إِلاَّ أَنَّ «سِي امحمد» وَرِفَاقَهُ عَرَفُوا كَيفَ يُدِيرُونَهَا، إِلَى أَنْ نَفِدَتْ ذَخِيرتُهُمْ؛ فانْتَهَتِ المُوَاجَهَةُ بِاسْتِشْهَادِ مسؤولِ الوِلاَيَة وَجَمِيعِ رِفَاقِهِ فِي 08 أوت سنة 1961.

المَجْدُ وَالْخُلُودُ لِشُهَدَائِنَا الأَبْرَارْ